

سلام الله كنز عظيم

أثناسيوس، ميتربوليت ليماسول

نقلته إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

عندما نقتني سلام الله في داخلنا وتتيقن نفوسنا من أن الله هو بالفعل أبونا الذي يسوس الخليقة، وأنا أبناء هذا الإله الكلي القدرة الذي يصون خليقته، فإننا لسنا في خطر وما من شيء يثير خوفنا. حين نكون في سلام مع الله نكون في سلام مع الآخرين أيضاً. نكف عن اعتبار الآخرين أعداء لنا، بل نراهم كإلهنا [نرى فيهم ربنا: المترجم]: "إذا رأيت أخاك أو أختك فقد رأيت الرب إلهك". بالنسبة لشعب الله، كل إنسان هو "صالح جداً" لأن الله الخالق جبله. لا تستطيع قلوب شعب الله أن تنطق بالشر لأن الشر لا وجود له بالنسبة لهم. هم بالطبع ليسوا ساذجين، بل إنهم بكل بساطة لا يقبلون فكرة أن من خلقه الله على صورة إلهنا الصالح هو شخص شرير ويريد أذيتهم. لا يعني هذا بأن شعب الله هم أناس بسيطوا التفكير ويسهل خداعهم. هم واثقون بأنهم ليسوا في خطرٍ من أي شيء، لذلك ليست لديهم علاقات سيئة مع بقية الناس.

شعب الله المتيقنون من وجود الله لا يخشون شيئاً ولا يخافون أحداً. إن لسلام الله آثاراً اجتماعية رائعة. عندما يبطل الحسد والشك والخوف، ما الذي سيبقىنا عندها غير متحدين في المحبة تجاه بعضنا البعض ضمن عائلاتنا وحياتنا اليومية؟ في المقابل، عندما يغيب سلام الله، فإننا نحسد بعضنا ونخشى بعضنا البعض ونتصرف بروح ارتياب تفتقر إلى سلام الله. إننا نرزح تحت ضغط الشر المعيش في داخلنا، وكوننا فاقدين لنعمة الله، فإننا لم نعبر صعوداً حجاب الشر الذي يلف العالم. إننا بطبيعة الحال لا نخاف إخوتنا وأخواتنا والآخرين فحسب، بل نخشى بيئتنا أيضاً. نشعر بأننا مهددون من كل جهة. غالباً ما نشعر أننا لا نريد أن نكون مكشوفين، هناك عند بعض الأطراف في مكان ما، لأننا لا نعرف ما يحدث هناك.

نحن لا نشعر بسلام في نفوسنا. إن السلام الذي يستمد مصدره من الله ينتقل إلى البيئة المحيطة وينتشر فيها. وهكذا يمكن شعب الله من أن يعيش في أي مكان ويصادق الخليقة ويسالمها. عاش العديد من القديسين مع الحيوانات البرية. عاش القديس جراسيموس على ضفة نهر الأردن مع

أسد، كما عاش القديس باييسوس بارتياح مع الحيوانات البرية، لأنه اقتنى سلاماً مع الله مثل بقية القديسين. كان القديس باييسوس يعيش في وادٍ، وهو مكان مرّوع كما كلُّ مناسك الجبل المقدس. لم يشعر بأي خوف هناك. كان كل شيء من حوله مؤنساً وجميلاً لدرجة أنه شعر كما لو كان يعيش في أكثر الأماكن متعة في العالم. اليوم، يمكن أن نعيش في مدينة مكتظة بالناس ونشعر مع ذلك بالخوف، وذلك لأننا خسرنا سلام الله في تلك البيئة.

وبالتالي فإن سلام الله الذي يُمنح للناس من خلال عملية معينة ينعكس على حياتنا بأكملها، وهو سلام محدد وحقيقي ومطلق. إننا ننال هذا السلام عبر الكنيسة. ولكن، كيف يتم ذلك عملياً؟ هل يمكن لمن يعيشون في العالم ويحيون حياتهم اليومية بكل مشاكلها ومخاطرها أن يختبروا سلام الله وعطاياه؟ أم أن ذلك يقتصر على مجموعة محددة من الناس؟ دعا المسيح الجميع إليه وهو يقدم نفسه لنا جميعاً ضمن الكنيسة.

إننا أبناء الكنيسة، تلك الأم التي حباها الله وأغناها بجميع النعم التي جلبها بتجسده وبانحدار الروح القدس. وبالتالي، يمكننا أن نشارك في سلام الله. وهكذا تأكدت ترنيمة الملائكة "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام..." وتحققت في قلوبنا، وما تزال كذلك. لا ينظر المسيح إلى الناس كجموع، بل يرى كل شخص بفرادته، ويشفي كلاً منا على حدة، ويصون شخصية كل واحد منا. فهو لا يجعلنا جميعاً متماثلين. إن ضمان حريتنا واحترامها يبرهنان على أن السلام يتحقق داخل كل واحد منا بشكلٍ منفرد، ويمنحنا طريقاً، طريقاً نحو لقائنا مع المسيح. إن القديسين أنفسهم أظهروا لنا أن هذا السلام موجود على الأرض وأنه مقدّم لنا. عندما يفتح قلبنا للنعمة فإنه يتحد بها ويرتقي فوق أحداث هذا العالم.

إن سلام الله مُتاح لكل واحد منا. يمكننا التمتع به، "تعال وانظر"، يقول المسيح. "نوقوا وانظروا ما أطيب الرب". لطالما تكلمت الكنيسة بيقين وسلطة تامة لأنها تحمل الخبرة بين يديها. هذه الخبرة مقدمة للجميع، ويمكن لكل واحد منا أن يتحقق منها ويثبتها لنفسه ولمحيطه. خلص الله كامل الشخص البشري، وإنه لخطأ فادح أن نظن بأنه توجد حالة لا يمكنه فيها أن يخلصنا، أو أنه يمكن لشراً أو لشراً وبأس قوى أخرى أن تغلبه أو تعيق عمله وعنايته. إن النصر هو لله: "إيماننا هو النصر الذي غلب العالم". غلب المسيح العالم والخوف والقلق، وأعطانا نفسه بصفته سلامنا الحقيقي. لذلك فإننا فرحون وسلاميون. لا نخاف شيئاً بل نسلك طريقنا حاملين في قلوبنا هذا

السلام العميق الذي أنشدته الملائكة واختبره جميع القديسين، والذي تحفظه كنيستنا إلى هذا اليوم ككنزٍ ثمين.

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol. The Peace of God is a Great Treasure. Translation by Jesse Dominick. Sretensky Monastery. 1/25/2022. <https://orthochristian.com/144074.html>